

## نظرية الحتمية القيمية لدى عبد الرحمن عزي بين الأنموذج البنيوي والمقترح المونوغرافي

*The theory of determinism of values of Abdul Rahman Azi  
between the structural model and the monographic proposal*

د. ابراهيمي بوداود

المركز الجامعي أحمد زبانتة غيلزان، الجزائر.

brahimiboud@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/04/24 تاريخ القبول: 2019/05/31 تاريخ النشر: 2019/06/23

### الملخص:

تتقدم نظرية الحتمية القيمية بوصفها مقترحا بديلا، مقابل التوجه Emanence الذي أدى إلى نشوء النظرية التواصلية، التي أفرزت جهازا تواصليا جافا -الأنموذج الرياضي- اتجه صوب الإقصاء القسري لجملة التمثيلات التي يترنح فيها المرجع أو السياق التواصلية، باعتباره متغيرا جمعيا يصعب ضبطه، فإن الأنموذج الذي يقدمه عبد الرحمن عزي، من خلال جعل عناصر الرسالة (المرسل والمرسل إليه) أداة تتجسد عبرها القيمة -الإيجابية- التي تستمد حضورها من البعد الأخلاقي النهضوي الإسلامي لتشكل جوهر الفعل التواصلية، بوصفه عنصرا أساسا يعنى بالوظيفة المهيمنة ضمن الوظائف الستة للغة الرسالة.

ومن هنا، فإن المنهج المونوغرافي La méthode monographique، باعتباره منهجا يتيح سبيل مكنة التفرد بالظاهرة الاجتماعية، فإن ذلك يخول له عزل عنصر السياق من نسقه الجمعي المغلق، والانطلاق في تحديد إمكانات لأبعاده القيمة تساوقا والتبدلات الزمكانية المحتملة، ومن ثمة إعادة دمجها ضمن جهاز الدارة التواصلية محملا بوظيفة مهيمنة تحدد من خلالها مؤديات الفعل التواصلية.

**الكلمات المفتاحية:** القيمة؛ الحتمية القيمة؛ الوظيفية التواصلية؛  
البنوية؛ الحديث .

**Abstract:**

*The theory of value determinism presents itself as an alternative proposition, in the face of Emanence's approach, which led to the emergence of the theory of communication and which produced an arid communication device - the mathematical model - in view of the forced exclusion of the totality of the representations in which the reference or the context of communication sway like a collective variable difficult to control.*

*Hence Abdul Rahman Azi, seeking to make elements of the message (the transmitter and receiver) a tool that embodies the value - positive - whose presence stems from the moral dimension of the Islamic Renaissance to form the essence of the communicative act, as a key element of the dominant function within the six functions of the message language.*

*Therefore, the monographic method, as a method taking into account the singularity of the social phenomenon, allows it to isolate the element of context of its closed collective system and to begin to determine the dimensional possibilities of its value in the same context to its possible spatial and temporal variations.*

*And so the reintegrated into the communication circuit charged by a dominant function to determine the goals of the communicative act.*

**Keyword:** *The value, the message, the Qur'an, the Hadith, the structure, the deterministic value, the communication function, the sender, the recipient*

### مقدمة:

إن الحقيقة التي وقف عليها مفهوم التواصل بوصفه نتاجا حتميا لجملة من العمليات والأفعال المحسوسة والمجردة، السلوكية والذهنية، النفسية والفكرية، الذاتية والجماعية، جعلت منه كلية معرفية لا يمكن تشديرها إلا من خلال تقصي أثرها ضمن السياق الذي تحويه، وفق مجموعة المسلمات الثابتة التي تؤدي نتائجها، أو جملة الفرضيات التي تنفتح على نتائج جديدة. ومن هنا، فقد شمل البحث في الاتصال والتواصل عبر التاريخ كل المعارف التي انبرت إلى الكشف عن جملة الآليات والمناهج التي رامت حصر تمثل التصورات الذهنية وعملياتي الفهم والإفهام بين أطراف الاتصال.

ولئن كان المنعطف اللساني البنيوي، بوصفه امتدادا طبيعيا للتحول الفكري عند فلاسفة العصر الحديث، على غرار لوك، وفيتغنشتاين، وراسل، قد أسس لمنطلقات مفاهيمية جديدة، إمتاحت مكنة التفلت من الاستغراق في المطلق اللامتناهي الذي كان يُؤدى عبر المناهج السياقية في تفسير أبعاد وحدود الظاهرة التواصلية، وانتقل إلى الاشتغال والاهتمام بجملة الوظائف التي تؤديها عناصر العملية التواصلية ضمن أنساقها المغلقة.

وضمن هذا المعطى، فإن البحث في مضمون الرسالة التواصلية لم يعد مقتصرًا على غاية تكشف تلك الحمولة المدلولية القائمة بين المعبر والمعبر عنه. وإنما هو تقفي لمضامين الأنساق التواصلية بوصفها منظمات عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع، ترتب في مجملها إلى سلطة التواضع، والمرجع،

والمأل، الذي تتفق عليه الجماعة في تحديد مؤديات المرسلات، لتتحول الرسالة إلى مجموعة من الشفرات تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو الأنساق تترنح ضمن بنية تواصلية محددة الأبعاد، ولن تتأتى مكنة تشفيرها إلا عبر تقصي حقيقة العلاقات القائمة بين تلك الوحدات، ويؤكد رومان جاكبسون Roman Jakobson هذا قائلا: "أنا لا أعترف بالأشياء بحد ذاتها بل أؤمن بالعلاقات القائمة بينها"، لتمثل العلاقة بذلك في الدينامية والوظيفة التي يؤديها كل عنصر ضمن بنية الدارة التواصلية .

ومقابل هذا التوجه المحايث Emanence الذي أدى إلى نشوء النظرية التواصلية، التي أفرزت جهازا تواصليا جافا -الأنموذج الرياضي- الذي أقصى قسرا جملة التمثلات التي يترنح فيها المرجع أو السياق التواصلية، بوصفه متغيرا جمعيا يصعب ضبطه، فإن المقترح الذي قدمه عبد الرحمن عزي، وذلك من خلال جعل عناصر الرسالة (المرسل والمرسل إليه) أداة تتجسد من خلالها القيمة -الإيجابية- ضمن الفعل التواصلية، وذلك انطلاقا من التركيز على عنصر السياق وتمكينه من الوظيفة المهيمنة ضمن الوظائف الستة للغة الرسالة.

ولما كان، المنهج المونوغرافي La méthode monographique، منهجا ينهض على الدراسة الفردانية للظاهرة الاجتماعية، فإن ذلك، قد يتيح حتما مكنة عزل عنصر السياق من نسقه الجمعي المغلق، والانطلاق في تحديد أبعاده القيمية القائمة، تساوقا والتبدلات الزمكانية المحتملة لعناصر العملية الاتصالية. ومن ثمة، يشتغل البحث على إعادة دمج ضمن جهاز الدارة التواصلية محملا بوظيفة مهيمنة ترتهن إلى مبادئ الحتمية القيمية ضمن إطارها المرجعي كما تصوره الدكتور عبد الرحمن عزي.

### المنطلق البنوي وأفق تشكل النظرية الاتصالية :

توازيا مع المقترحات الإجرائية التي أعلنت عنها حلقة براغ الوظيفية، وتساوقا مع الأبحاث التي قدمها رومان جاكبسون في دراسته لعلاقة الصوت بالمعنى في إحداث شعرية الخطاب، بعد أن

وقف على حقيقة الوحدات الصوتية الصغرى (الفونيمات) \* ودورها في هيكلة البنية اللغوية، والخطاب التواصل، بوصفها « وحدات صوتية دنيا قادرة على التمييز بين المدلولات »، انطلاقاً من الاختلافات الحاصلة في الخاصية الفيزيائية والخاصية الفيزيولوجية للصوت اللغوي، حيث رأى جاكوبسون بأن هذه التباينات تؤدي إلى تشكيل تقابلات أو تمايزات صوتية، تحدد أول تفريق بين المنطوقات يساهم لاحقاً في بناء الاختلاف الدلالي للمفردة ولكل بناء لغوي أكبر. كما يذهب إلى التأكيد أن النظام التقابلي بين الأصوات يترتب وفق ثنائية وصفية في خصائص الأصوات، « فكل العلاقات بين الوحدات الصوتية التمايزية في اللغات المختلفة تخضع لنظام ثنائي »<sup>3</sup> وقد نؤيد رأي جاكوبسون، لو أسقطنا نظريته على الصورة التي أتت عليها التصنيفات الفيزيولوجية والفيزيائية للصوت اللغوي، حيث يقابل الجهر المهمس، وتقابل الشدة الرخاوة، ويقابل الانفتاح الإطباق ويقابل الاستعلاء الاستفال. ما يؤدي بنا إلى تبيين رؤية البنويين من هذا المنحى، والتأكيد على أن الاستدلال لمعنى اللفظ يقوم على الكشف عن العلاقة الكامنة بين الظاهر والباطن « كالعلاقة بين الباء والميم المحددة بالقيمة الخلافية في المقابلة من حيث الأنفية وعدمها والشدة وعدمها »<sup>4</sup>. وعليه فنحن لا نميز الشديد إلا بوجود الرخو ولا نميز المجهور إلا بوجود المهموس، « وقديماً أدرك الكوفيون قيمة المقابلة في إيضاح المعنى فسموها الخلاف »<sup>5</sup>، وهو الأمر ذاته الذي كان يصبو إليه الشكلاونيون، مؤكدين على أن سمة التمايز الحاصلة بين الوحدات الصوتية المشكلة لبنية الكلمة هي نواة تشكل الدلالة، كما أن الفروق الحاصلة هي السبب المباشر الذي يسهم في تسهيل عملية الاستقبال والتلقي في العملية التواصلية.

إن المتأمل فيما ذهب إليه الشكلاونيون، في تعاملهم مع الظاهرة اللغوية يقف على المزية التي أزردها دي سوسير، حين أصر على ضرورة الفصل بين الفونيتكا والفونولوجيا، رغم الخلط الذي وقع فيه أثناء التفريق بينهما، إلا أنه دفع بالدراسة اللغوية إلى البحث عن العلاقات بين الخاصية المكتسبة للصوت والوظيفة التي يؤديها داخل التشكلات الكلامية بخاصة الوظائف الدلالية، كما

أنه أرغم دارسي الفونيتيكيا إلى إعادة النظر في إثبات كل الحقائق الخاصة بصفة الصوت اللغوي وطبيعة تكونه قبل الولوج إلى وظيفته.

ضمن هذا المقرب التصور البنيوي المוגل في تحييد الذات الإنسانية، لا نجد أنفسنا إلا مدفوعين لاستشراف آفاق البحث اللغوي ذي الطابع التواصل، إيماناً منا بأنه لابد في النهاية أن تعود نتائج الأبحاث اللغوية إلى إظهار الملمح التواصل في كل ما يرتبط بالنشاط اللغوي لدى الإنسان، فاللغة «ليست كائناً مستقلاً يحيا بنفسه لنفسه، ولكنها متصلة كل الاتصال بحياة الأمة التي تنطق بها، بل هي جزء من هذه الحياة ومظهر من أهم مظاهرها، تنشأ بنشوء الأمة، وتنمو بنموها ترافقها في جميع أحوالها العلمية والأدبية والسياسية والاقتصادية»<sup>6</sup>.

ولاشك أن النظرية التواصلية لصاحبها "رومان جاكسون" قد أعادت الاعتبار لوجود الإنسان ضمن السيرورة التواصلية، إذ عكفت على تعميق حضوره في أنموذجه التواصل بصفته ذاتاً فاعلة منتجة لبنية الخطاب، «فالظواهر الإنسانية في كليتها لا يمكن أن توجد خارج رغبة الكائن البشري في التواصل مع غيره بشكل مباشر أو غير مباشر، فمجموع ما ينتجه الإنسان عبر لغته وأشياءه وجسده، وإيماءاته وطقوسه ومعماره، يندرج ضمن سيرورة تواصلية متعددة المظاهر والوجود والتجلي إلى الحد الذي يجعل الثقافة في كليتها سيرورة تواصلية دائمة»<sup>7</sup>.

وقد انساق "رومان جاكسون" لوضع معالم أطروحته التواصلية صوب الاتجاه العام الذي حددته مدرسة براغ، وسعيها الحثيث لاستجلاء البعد الوظيفي للغة، إذ عمد أعضاء هذه المدرسة إلى تحليل اللغة « بهدف إبراز الوظائف التي كانت مكوناتها البنيوية المختلفة تؤديها في استعمال اللغة بأجمعها. وهذا ما ميز مدرسة براغ تمييزاً حاداً عن معاصريها [...] فكانوا ينظرون إلى اللغة كما ينظر المرء إلى محرك محاولاً أن يفهم الوظائف التي تؤديها أجزاؤه المختلفة، وكيف تحدد طبيعة جزء معين طبيعة الأجزاء الأخرى [...] أي أنهم لم يكتفوا بالحديث عن ماهية اللغة بل تحدثوا عن السبب وراء اتخاذ اللغات أشكالها التي نجدها عليها»<sup>8</sup>.

في ظل هذا التوجه الوظيفي، ارتسمت لدى "رومان جاكبسون" الملامح العامة لأنموذجه التواصل، فعلى الرغم من أن مخطط "دي سوسير" قد حدد ظاهرة التواصل اللغوي، إلا أن اللسانيين تفاعلوا مع مخطط "جاكبسون" الشهير، ذلك أن مخطط "دي سوسير" لم يستوف أركان عمليات التخاطب بصفة عامة، بخلاف "رومان جاكبسون" الذي اقترح أنموذجا اختزل من خلاله بنية التواصل في ستة عناصر، على النحو التشيجري الذي أثبتته في مصنفه "قضايا الشعرية"<sup>10</sup>، ويمكن توضيح عناصر الاتصال التي تسمح ببث الخطاب على النحو الآتي:

### سياق

مرسل ————— رسالة ————— مرسل إليه

### وسيلة اتصال

### سنن

وبالاستناد إلى المخطط الجاكبسوني الشهير، تم تحديد وظائف اللغة المتوافقة مع عناصر الاتصال، « فاللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها [...] ولكي تقدم فكرة عن كل هذه الوظائف من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية، ولكل فعل تواصلي لفظي. إن المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه. ولكي تكون الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي بادئ ذي بدء، سياقاً تحيل عليه [...] قابلاً لأن يدركه المرسل إليه، وهو إما أن يكون لفظياً أو قابلاً لأن يكون كذلك: وتقتضي الرسالة بعد ذلك سنناً مشتركة كلياً أو جزئياً بين المرسل والمرسل إليه [...] وتقتضي الرسالة أخيراً اتصالاً، أي قناة فيزيقية وربطاً نفسياً بين المرسل والمرسل إليه»<sup>11</sup>.

وعليه فإن كل عنصر من هذه العناصر الستة يقابل وظيفة أساسية، نجملها فيما يأتي:

المرسل أو الباث ( l'émetteur ) أو المخاطب أو الناقل: وتتوافق معه الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية.

المرسل إليه ( le destinataire ) أو المستقبل ( le récepteur ) : ويؤدي الوظيفة الندائية التي تتعلق بما يتلقاه الشخص الذي يوجه إليه الخطاب قصداً أو عن غير قصد.

السياق ( le contexte ) أو المرجع ( le référent ) : وتحال إليه الوظيفة المرجعية أو الإخبارية.

الرسالة ( le message ) : وتتضح من خلالها الوظيفة الشعرية أو الإنشائية.

قناة الاتصال ( le canal ) : يحرص من خلالها الباث على إقامة الاتصال والحفاظ عليه، ومن ثم فإن الوظيفة المتعلقة بها هي الوظيفة الإنشائية.

السنن ( code ) : وظيفة تعدي اللغة أو ما وراء اللغة.

### الملح البنوي لنظرية الحتمية القيمية

إن إحلال المبحث الفونولوجي حلقة براغ محل المطية التي حققت توثبا عمليا منقطع النظر للتوجه البنوي، لم يكن أمرا هينا كما يعتقد البعض، وإنما تمخض عن خصيصة جوهرية، وإن كانت قد تجسدت في أصغر عناصر البنية اللغوية -الفونيم- إلا أنها استشرفت على الأفق المعرفي الذي توخاه رواد البنية سلفا وتعذر عليهم مطالولته عمليا، والمنوط بالجواهر هنا، هو ما تؤديه القيمة الخلافية الباطن من وظيفة حيوية ضمن البنية، إضافة إلى أن هذه الوظائف قد تؤدي تزامنيا في آن واحد، لتسقط بذلك العلاقة الصورية التي تجعل من الكلية خطية تعاقبية للأجزاء "فنحن حين نلفظ فونيميا، فإن ما نقوم به في الحقيقة هو جمع عدد من السمات النقية المميزة، التي نتلفظ بها حزمة واحدة في هيئة صوت واحد، أو فونيميا بوصفه أصغر وحدة في اللغة، وبذلك لا يعود صحيحا أننا

لا نستطيع قول أكثر من شيء واحد في وقت واحد، فالحقيقة أننا نستطيع أن نلفظ سمات مميزة عديدة في الوقت ذاته"<sup>12</sup>. حيث يتجلى مبدأ سنكرونية الأنساق الجزئية للغة ضمن كليتها الكبرى، ليتحول المفهوم السائد للغة، بوصفها تتابعا متتاليا من الصيغ المنطوقة (المورفيمات) تتشكل عبر خطيتها، مجموعة من التمثيلات الذهنية مقابل مثيرات الصور السمعية (acoustiques images) للملفوظ، إلى مجموعة من العمليات المعقدة التي تؤديها بنيات متسقة فيما بينها ضمن نظام متكامل، على غرار ما تؤديه حينما نلفظ بصوت لغوي ما<sup>13</sup>، حيث يتحدد مقابل كل أداء فونيتيكي للصوت طبيعة سماته التمييزية، ومن ثمة وظيفته الفونولوجية التي تؤدي داخل النسق اللغوي، التي تكون إما تحديدية أو تمييزية أو تعبيرية، وفق ما ذهب إليه رواد الوظيفة، يتقدمهم تروبسكوي، ومالينوفسكي، ومن بعدهم رومان جاكسون الذي عمم المبدأ ذاته على باقي الأنساق والبنيات اللغوية معتمدا على نظرية التقابل القائم بين الأشكال اللغوية والوظائف التي تؤديها، وصولا إلى النسق المتعالي كما تصوره، من خلال ما تؤديه العلاقات القائمة بين العناصر الستة بوصفها أجزاء ضمن بنية النسق التواصلي، أو كلية اللغة.

### تجليات القيم الإسلامية النهضوية للرسالة في نظرية الحتمية القيمية

إن المقرب التصوري الذي اقترحه الدكتور عبد الرحمن عزي، يترد في مجمله إلى مجموعة من المنطلقات والقناعات الفكرية التي انصهرت في أنموذج نظري متجانس، جمع بين مواضع جوهرية أسست للنظرية التواصلية في ملمحها البنوي ونفسها المغلق كما قدمها الشكلاونيون الروس، وبين طبيعة العناصر التي تمثل هذه البنية التواصلية حينما تنتهي هذه العناصر التواصلية، مع أبعاد سياقية ترتبها إلى المتعالي الأخلاقي والديني والتراثي العربي والإسلامي. ومن هنا، انبرى عبد الرحمن إلى البحث عن ملامح النسق التواصلي-البنية-، ومن ثمة السعي إلى سبيل تنميط هيئات تلك العناصر مع الأنموذج المتعالي ذي الخصوصية الإسلامية، من خلال مطاولة كل المسالك الممكنة التي قد تنضد لعلاقات تلك العناصر البنوية وتُجلي حضورها ضمن النسق

الاتصال بتآزر كامل بينها، وقد أُجملت هذه العناصر عند الدكتور عزي بحسب ما يذهب إليه نصير بو علي في:

- الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن العشرين كمادة مستوردة.

- ابستمولوجيا الإعلام والاتصال

- التراث العربي الإسلامي على سبيل الاجتهاد وليس النقل كمادة محلية.

- الفكر الإعلامي القيمي (مالك بن نبي، الشيخ الورتلاني، النورسي)

ويسترعي الانتباه أن صنافه الأنساق التي وضعها عزي تمثل مجموعة من الحدود والمصدريات التي تعضد بعضها لتشكل نسقا متعاليا ضمن كلية الاتصال، محاكيا بذلك النسق المغلق لرومان جاكسون في نظريته الاتصالية، ولئن كان الأخير ومن منطلقه الشكلياني قد جعل من الرسالة الاتصالية نواة لمدار التواصل، فقد جعل الدكتور عبد الرحمن مقابل ذلك من جوهر الرسالة "القيمية" قطبا الرحي ومحور الحلقة الاتصالية، مسلطا الضوء على أهمية الرسالة التي تتضمن القيم التي مصدرها الدين في إحداث التأثير الذي يكون ايجابيا إذا كانت المحتويات وثيقة الصلة بالقيم، ويكون سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأي قيمة أو تتناقض مع القيمة<sup>14</sup>.

وعبر هذا المأخذ، يكون عزي قد جنب النظرية التواصلية الشكليانية الحرج الذي وقعت فيه، من حيث إنها اهتمت بالرسالة، ولم تراع الأسيقة التي تحكم قطبي الخطاب (المرسل / المرسل إليه) فجعلت منها حدين ثابتين لتأثيرات الرسالة (فعل / ردة فعل)، وهو ما أضفى على النظرية سمة التنظير الرياضي وأبعدها عن واقعية الفعل التواصل، فحين انقاد الدكتور عزي صوب جوهر الرسالة أو المضمون المعنوي للقيمة الذي تُشحن به الرسالة، أو مؤدى البنية العميقة كما يصطلح عليه عند البنويين، ولن تتاح مكنة الكشف عن هذه المؤديات القيمية إلا عبر استنطاق وظيفتها التبليغية والتأثيرية الإيجابية عبر كلية التواصل ومدى انسجام وتماسك عناصرها وتناغمها مع

مؤدى القيمة، فالتأثير يكون إيجابيا إذا كانت محتويات وسائل الإعلام وثيقة الصلة بالقيمة، وبالمقابل، يكون التأثير سلبيا إذا كانت محتويات وسائل الإعلام لا تتقيد بأية قيمة، وكلما كان الابتعاد أكبر كان التأثير أكثر سلبية"<sup>15</sup> ومعيارية السلب والإيجاب لن تتحد إلا ضمن ضوابط المرجع للمتمعالي الأخلاقي العربي وسنن العروة الوثقى التي يؤدّيها السياق بصفته وظيفة مهيمنة في العملية الاتصالية، في ضوء ما تملّيه المقاربة البنيوية.

### لماذا المنهج المونوغرافي؟

ينهض الجانب الإجرائي لنظرية الحتمية القيمية على مبادئ المقاربة البنيوية التي تقوم على التحليل المحايث للأنساق واستنطاق مضامينها المدلولة باعتبار ما تؤدّيه العلاقات القائمة بين عناصر البنية عبر محور الخطية التعااقبية مقابل محورها الاستبدالي الاختياري. حيث ترتّهن الخطية إلى ضوابط المعيار التبليغي اللغوي (الكودة-Code)، كما يرتّهن محور الاستبدال إلى تماهيات السياق وأبعاده المرجعية.

ولئن كانت القيمة هي الحلقة أو العلاقة<sup>16</sup> الرابطة بين المحورين باعتبارها الجوهر الذي يجب أن يدعّن إليه المرسل إليه، وأن يستغرقه الخطاب الإعلامي، فالقيمة ضمن خطاطة متغيرها السياقية (الاجتماعية، النظرية، الاقتصادية، الجمالية، الدينية السياسية)<sup>17</sup>، ستنقاد إلى ضوابط الموقف situation، والذي يفتح إلى مطلق لا متناهي من التأويلات والاحتمالات الفهمية والإفهامية الذي يصعب التحكم فيه. وهنا، يتقدم مقترح المنهج المونوغرافي -المونوغرافيا- La méthode monographique باعتبارها الآلية التي تعنى بوصف موضوع مفرد. لكن المقصود بها في علم الاجتماع هو القيام بدراسة مفردة عن جماعة أولية مثل الأسرة، القرية، القبيلة... الخ غير أن بعض علماء الاجتماع الأمريكيين فهموا منها أيضا دراسة الأفراد كوسيلة للدراسة الاجتماعية<sup>18</sup>، وهي بذلك دراسة ومنهج يتيح مكنة الإلمام بموقف حدوث الرسالة message، ومن ثمة إيجاد الكودة

البنوية الأنسب (اللفظة، التركيب، الصورة، العلامة، الإيقونة ...) لتحريك القيمة المراد توظيفها، أو إبرازها.

وإذا ما أردنا أن نبرر لهذا المقرب التصوري، فإننا سنبري حتما إلى الاستشهاد ببعض النماذج الإعلامية العربية التي وُفقت في تجاربها الإعلامية اعتمادا على هذا الإجراء سواء طوعا أو إكراها، التي تمكنت من إحداث وثبات في تاريخ الإعلام العربي. على نحو المقترح الذي قدمه الإعلامي العراقي يونس بحري<sup>20</sup>، حين دعاه هتلر بوساطة مستشاره "غوبلز" إلى تأسيس وفتح إذاعة ناطقة باللغة العربية في برلين، لتكون صوتا لدول المحور مقابل إذاعة بي بي سي (BBC) الصوت العربي في بريطانيا الموجهة من الحلفاء.

وفي غمرة هذا السياق الخاص الذي وسمته أحداث الحرب العالمية، وما شهده العالم من احتدام وصراع على كل الأصعد، بما في ذلك المشهد الإعلامي الذي يصفه صاحب التجربة يونس بحري قائلا: "كانت الدعاية اليهودية وغيرها من الدعايات المعادية لألمانيا الهتليرية تحاول جاهدة حمل العرب والمسلمين والنصارى على الاعتقاد بأن هتلر يكره الأديان، وإن هتلر قد وضع العرب في كتابه كفاحي وهو دستور النازية في الدرجة الرابعة عشر من الشعوب !! أي في الدرك الأسفل"<sup>21</sup>!!، ويردف قائلا بأن: "دور النشر اليهودية في أوروبا وأمريكا تعمدت طبع كفاحي ودست على هتلر هذه الدعاية المشوهة للحقيقة والتاريخ، ولذلك فإنني قبل الإذاعة بيوم بواحد اقترحت على الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ أن أفتح الإذاعة العربية من برلين" بما تيسر من أي الذكر الحكيم [...]. عرض الدكتور غوبلز الاقتراح على هتلر.. فكان جوابه: هذا واجب<sup>20</sup>!!

ففي ظاهر الإجراء الذي عمد إليه يونس بحري، قد يذهب أكثرنا إلى تقديم مسوغ رغبة الإعلامي العربي جلب أكبر عدد من السامعين العرب واستعطافهم من خلال تعمده استهلال البث الأثير بآيات من الذكر الكريم، غير أننا لو أوغلنا في بعد الآلية المعتمدة إسقاطا على ما نادى به نظرية الحتمية القيمة نقف على:

### سياق المرسل إليه:

إرادة المرسل في ضبط معالم واضحة لسياق الخطاب من خلال :

هتلر لا ينبذ الدين الإسلامي، وعليه فهو لا يلفظ باقي الأديان المسيحية واليهودية... باعتبار أن القرآن الكريم يقر بحقيقتها.

من منطلق التصديق بهذه الحقيقة، سيحتكم المتلقى إلى تكذيب الخطاب السائد سلفا من البي بي سي، ومن ثمة التشكيك في كل ما سيصدر لاحقا.

"هتلر" لا ينبذ العرب باعتبار أن القرآن الكريم جاء باللسان العربي المين

من جانب آخر "هتلر" ليس ملحدا، ليس عنصريا، ليس مستبدا ....

### سياق الرسالة:

يكفي أن تستهل إذاعة برلين بثها بالذكر الحكيم، لتصور تراكمية وكثافة القيم التي ستنج عن طبيعة الخطاب الذي ستحمل به الرسالة.

وفي ضوء ما يُستشف من الشاهد، فإن المتأمل في فرضيات ونتائج نظرية الحتمية القيمية للدكتور عبد الرحمن عزي، يخلص إلى الكشف عن ملامح أنموذج يُسبك فيه المنهج بالموضوع ويتجه صوب تشكيل أفق متجدد لخطاب إعلامي بخصيصة إسلامية، ويمكن أن نحصر ملامح هذا الأنموذج في الآتي:

- العمل بالعدد الإجرائية للتصور البنوي اللساني الغربي - النظرية التواصلية - والانعطاف إلى اعتماد مضامين عناصر الدّارة التواصلية وعدم الاكتفاء بالخاصية اللغوية (التبليغية) التي تؤديها.

- ضرورة الاهتمام بالبنيات الداخلية لعناصر الخطاب الإعلامي، وتسليط الضوء على مجمل الوظائف التي تؤديها تلك البنيات فيما بينها، من منطلق أن تجليات القيمة كما تصورها عزي لن تتأتى إلا من خلال العلاقات القائمة بين عناصر البنى العميقة ضمن كلية الاتصال الكبرى. ومن هنا، يتقدم المنهج المونوغرافي بوصفه آلية كفيلة بالكشف عن طبيعة وخصائص البنيات الصغرى.

- التأسيس لنظرية إعلامية تنحو إلى اعتماد مضمون الرسالة باعتبارها جوهرًا ومحورًا في العملية التواصلية بدل القناة. فإذا كانت قناة الاتصال قد أدت إلى نشوء مبدأ الحتمية التواصلية التكنولوجية كما تصورها (غوتنبيرغ) في مجرته، فإن حتمية عزي التي تنهض على الجوهر (مضمون الرسالة) ستؤدي بالضرورة عبر الأنموذج الأخلاقي المتعال الذي ينبثق من مخرجات الفكر الإعلامي القيمي ويتعضد بمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة.

#### مصادر ومراجع الدراسة:

#### المصادر والمراجع العربية:

- 1- بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات الكويت، 1977،
- 2- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. دار الثقافة المغرب، 1980.
- 3- سعيد بنكراد، استراتيجيات التواصل، من اللفظ إلى الإيحاء، مجلة علامات، مكناس، عدد 21.
- 4- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان ياكوبسون، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
- 5- عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية-إكلينيكية، دار أي قراقر للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط01، 2012.

- 6- عبد اللطيف خليفة، ارتقاء القيم، سلسلة عالم المعرفة، العدد 160، أبريل 1992
- 7- مباركي ابتسام، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام قراءة تبسيطية لأهم افتراضاتها، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 02، 2018.
- 8- مرتاض عبد الجليل، اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين، الشفهي والكتابي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.
- 9- نصير بوعلي، الإعلام والبعد الحضاري: دراسات في الإعلام والقيم، تقديم: عبد الرحمن عزي، ط 1 الجزائر: دار الفجر للطباعة.
- 10- نصير بوعلي، مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام- مقارنة بنيوية، مجلة كنوز الحكمة، ع2، مؤسسة كنوز الحكمة.
- 11- يونس بحري، هنا برلين حي العرب، ج4، الطبعة الثانية، شركة فرج الله للمطبوعات، الإسكندرية، 2002.

### المراجع المترجمة:

- 12- جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1980.
- 13- رومان ياكسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988.
- 14- فيكتور إيرليخ، الشكلاية الروسية، ترجمة: الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت
- 15- ليونار جاكسون، بؤس البنيوية، ترجمة ثائر ديب، مكتبة بغداد، الطبعة الأولى، 2014.

## الهوامش :

\* الفونيم: يقدم له الوظيفيون (دانييل جونز في المدرسة الإنجليزية ، ورومان ياكبسون في الشكلائية الروسية ، وأندري مارتينييه في المدرسة الفرنسية) تعريفا مختصرا على أنه أصغر وحدة صوتية غير دالة.

<sup>1</sup> Roman Jakobson –Essais de linguistique générale –Paris, Minuit, 1973, Tome II ,p133

<sup>2</sup> ينظر: فيكتور إيرليخ، الشكلائية الروسية، ترجمة: الولي محمد ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 81

<sup>3</sup> فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان ياكوبسون، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص

38

<sup>4</sup> ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ص 35

<sup>5</sup> نفسه، ص 35

<sup>6</sup> عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية-إكلينيكية، دار أي قراقر للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط 01، 2012، ص 39.

<sup>7</sup> سعيد بنكراد، استراتيجيات التواصل، من اللفظ إلى الإيحاء، مجلة علامات، مكناس، عدد 21، ص 03.

<sup>8</sup> جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1980، ص 105-106، وينظر، عبد الفتاح بنقدور، اللغة دراسة تشريحية-إكلينيكية، ص 150.

<sup>9</sup> ينظر، مرتاض عبد الجليل، اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للمتواصلين، الشفهي والكتابي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 11

<sup>10</sup> ينظر، رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنوز، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، (1988)، ص 27-33.

<sup>11</sup> رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي، ومبارك حنوز، ص 27.

<sup>12</sup> ينظر: ليونار جاكسون، بؤس البنوية، ترجمة ثائر ديب، مكتبة بغداد، الطبعة الأولى، 2014، ص 123.

<sup>13</sup> نفسه، ص 123.

<sup>14</sup> مباركي ابتسام، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام قراءة تبسيطية لأهم افتراضاتها، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، العدد 02، 2018، ص 146.

<sup>15</sup> ينظر: نصير بوعلي، الإعلام والبعد الحضاري: دراسات في الإعلام والقيم، تقديم: عبد الرحمن عزي، ط 1. الجزائر دار الفجر للطباعة، ص: 52

<sup>16</sup> ينظر: نصير بوعلي، مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام- مقارنة بنوية، مجلة كنوز الحكمة، ع 2، مؤسسة كنوز الحكمة، ص 145-149.

<sup>17</sup> ينظر: عبد اللطيف خليفة، ارتقاء القيم، سلسلة عالم المعرفة، العدد 160، أبريل 1992، ص 62-63 نقلا عن: باديس لونيس، مقال بعنوان: تحديات تواجه نظرية الحتمية القيمية في الإعلام. ص 318.

<sup>18</sup> بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات الكويت، 1977، ص 299.

\* يونس بحري: الصحفي والدبلوماسي والسائح وإمام جامع باريس، ومفتي اندونيسيا، ومستشار ملك ليبيا، ومذيع راديو برلين في الحرب العالمية الثانية، - من مقدمة - هنا برلين حي العرب، ج 4، الطبعة الثانية، شركة فرج الله للمطبوعات، 2002، الاسكندرية.

<sup>19</sup> يونس بحري، هنا برلين حي العرب، ج4، الطبعة الثانية، شركة فرج الله للمطبوعات، 2002، الاسكندرية، ص 17.

<sup>20</sup> نفسه، ص 17.

